ظاهرة الانسجام في شعر لخضر بن خلوف .
- قصيدة الأمانة أنموذجا-

أ. بن يحيى ناعوس
جامعة البليدة.

تقديم:

إنّ النّصّ مدوّنة كلاميّة، تُبْنَى وفق نسق معلوم الأطر والمناهج، وللولوج إلى أعماقه (النّصّ الأدبيّ)؛ نحتاج إلى جملة من الأدوات تساعدنا في بلوغ المعنى المخبوء وراء الكلمات؛ الّتي اتّخذها النّاصّ كوسيلة لحمل أفكاره إلى المتلقي، وإذا عدنا إلى النّصّ الّذي هو كلام "متّصل ذو وحدة جلّيّة تنطوي على بداية ونهاية، ويتّسم بالتّماسك والتّرابط، ويتّسق مع سياق ثقافيّ عامّ أنتج فيه، وينسجم مع سياق خاصّ أومقام؛ يتعلّق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللّغة، وبين بداية النّصّ وخاتمته مراحل من النّمو القائم على التّفاعل الدّاخليّ، وهذا التّفاعل يؤدّي بالنّصّ إلى إحداث وظيفته الّتي تتمثّل في خلق التّواصل بين منتج النّصّ ومتلقيه."[1] فإذا فصلنا بين أجزاء النّصّ أدّى إلى عدم وضوحه، كما يؤدّي عزل أو إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم تحقيق الفهم. ومن هنا سنبحث في هذا المقال عن مظاهر ووسائل انسجام النّصّ، وقد اتّخذنا نصّ الأمانة للشّاعر الجزائريّ (لخضر بن خلوف) أنموذجا، لنثبت الفكرة السّالفة الذّكر، وفق الخطّة التّالية:

- ماهيّة النّصّ الأدبيّ.
- بين النّصّ والجملة.

- مظاهر الانسجام ووسائله في قصيدة الأمانة.
- استنتاج وتركيب.

***-من هو ابن خلوف؟**

من مواليد القرن السّادس عشر، يعتبر من أهمّ المؤلّفين في عصره للقصائد الصّوفيّة.اسمه بالكامل سيدي لخضر بن عبد الله بن خلوف أمير المرابطين بمنطقة الظّهرة، ينتمي إلى قبيلة أزافريبا وقضى فيها جزءا من شبابه قبل أن ينتقل مع والده إلى مزغران وهو موقع بقرب مدينة مستغانم المتواجدة بالغرب الجزائريّ.

شارك في المعركة الّتي شنّتها القيادة العثمانيّة ضدّ الإسبان، والّتي وقعت في 26 أوت 1558م، وقد أبدع في تأليف قصيدة يذكر فيها بدقّة مغامرات هذه المعركة.

انتقل إلى مدينة تلمسان يقصد التّقرب من الشّيخ محمّد عبد الحقّ بن عبد الرحمان بن عبد الله المعروف باسم سيدي بومدين بهدف التّعلّم، وتصفية الرّوح وتكريسها للعبادة، له أعمال كثيرة منها القصيدة الّتي كتبها في مدح النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم تحت عنوان ياتاج الأنبياء الكرام.

وقد قام المؤرّخ محمد بخوشة بجمع حوالي 31 قصيدة للشّيخ منشورة، وكان ذلك عامّ 1985م، في الرّباط تحت عنوان ديوان سيدي لخضر بن خلوف.

***- ماهيّة النّصّ الأدبيّ:**

للوقوف على معاني كلمة (نصّ) فإنّنا سنتتبعها في المعاجم العربيّة، قديمها وحديثها، فقد أورد الفيروزآباديّ في مادّة (نصص) قوله: "(نصّ)

الحديث رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السّير، والشّيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً، وهو نصّاص الأنف، والمتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً: استقصى مسألته عن الشّيء، والعروس أقعدها على المنصّة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصت، والشّيء أظهره، والشّواء ينصّ نصيصاً: صوّتَ على النّار، والقدر غلت، والمنصّة بالفتح الجَمَلَة من نَصَّ المتاع، والنّصّ الإسناد إلى الرّئيس الأكبر والتّرقيّات، والتّعيين على شيء ما، وسير نُصٌّ ونصيص جدٌّ رفيع، وإذا بلغ النّساء نصّ الحقاق فالعصبة أولى: أي بلغن الغاية الّتي عقلن فيها، أو قدرن على الحقاق، وهو الخصام أو حوق فيهن فقال كلّ من الأولياء أنا أحقّ، أو استعارة حقاق الإبل: أي انتهى صغرهن، ونصيص القوم: عددهم، والنّصّة: العصفورة بالضّمّ الخصلة من الشّعر، أوالشّعر الّذي يقع على وجهها من مقدّم رأسها، وحيّة نصناص أي كثيرة الحركة، ونصص غريمه، وناصه: استقصى عليه وناقشه، وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع، ونصنصه: حركه وقلقله، والبعير أثبتت ركبتيه في الأرض وتحرك للنّهوض."[2] وفي مختار الصّحاح للرّازيّ مادّة (ن .ص .ص) في حديث عليّ رضي الله عنه: "إذا بلغ النّساء نصّ الحقاق،" يعني منتهى بلوغ العقل و(نصنص): الشّيء: حرّكه. وفي حديث أبي بكر "رضي الله عنه" حين دخل عليه عمر، رضي الله عنه، وهو ينصنص لسانه، ويقول: هذا أوردني الموارد."[3]. وفي لسان العرب لابن منظور: "(النّصّ) رفعك الشّيء، نصّ الحديث ينصّه نصّاً: رفعه. وكلّ ما أَظهِر فقد نُصَّ. ووضع على المنصّة: أي على غاية الفضيحة والشّهرة والظّهور. وقال الأزهريّ: النّصّ أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرّجل إذا

استقصيت مسألته عن الشّيء، حين تستخرج كلّ ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصّهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نصّ القرآن، ونصّ السّنّة. أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وانتصّ الشّيء وانتصب إذا استوى واستقام."[4]

ولم يقتصر الأمر بالنّسبة لتعريف النّصّ على ما ورد في المعاجم القديمة، فلقد تطوّر تعريف النّصّ، وأصبحت المعاجم الحديثة تميل إلى تعريفه بشكل أشمل، وأكثر إجرائيّة كما في معجم المصطلحات اللّغويّة للدّكتور خليل أحمد خليل الّذي يعرف النّصّ (Text) بأنّه:

-" يعني في العربيّة الرّفع البالغ ومنه منصّة العروس.

- * النّصّ كلام مفهوم المعنى فهو مورد ومنهل ومرجع.

- * التّنصيص المبالغة في النّصّ وصولاً إلى النّصّ والنّصيصة .

- * النّصّ (Textus) هو النّسيج، أي الكتابة الأصليّة الصّحيحة، المنسوجة على منوالها الفريد، مقابل الملاحظات (Notes)، والشّروحات والتّعليقات (Commentaires).

- * النّصّ: المدوّنة، الكتاب في لغته الأولى، غير المترجم، قرأت فلاناً في نصّه، أي في أصله الموضوع.

-* النّصّ كلّ مدوّنة مخطوطة أو مطبوعة، ومنه النّصّ المشترك (Co- Texte) .

-* " سياق النّصّ، مساقه، أجزاء من نصّ تسبق استشهاداً، (Citation)، أو تليه، فتمدّه بمعناه الصّحيح. يقال: ضع الحدث في سياقه التّاريخيّ أي: في مكانه الصّحيح.

-* التّساوق (Contexture) هو التّوالف بين أجزاء الكـلّ: تناسـق القصيدة، تساوق الكلام[5].

ولكي نوضّح أهمّ خصائص النّصّ ووظائفه؛ نسوق في هـذا المجـال تعريفا لسانيّا معاصرا، إذ يقول محمد مفتاح في هذا: "النّصّ مدوّنـة حـدث كلاميّ ذي وظائف متعدّدة.

- **مدونة كلاميّة:** يعني أنّه مؤلّف من الكلام، وليس صورة فوتوغرافيّة أو رسماً أو عمارة أو زيّاً، وإن كان الدّارس يستعين برسم الكتابة وفضـائها وهندستها في التّحليل.

- **حدث:** إن كان نصّ هو حدث يقع في زمان ومكان معينين، لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التّاريخيّ.

- **تواصليّ:** يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجـارب ... إلى المتلقي.

- **تفاعليّ:** على أنّ الوظيفة التّواصليّة في اللّغة ليست هي كلّ شـيء، فهناك وظائف أخرى للنّصّ اللّغويّ أهمّها: الوظيفـة التّفاعليّـة الّتـي تقـيم علاقات اجتماعيّة بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.

- **مغلق:** ونقصد انغلاق سمته الكتابيّة الأيقونيّة الّتي لها بداية ونهاية، ولكنّه من النّاحيّة المعنويّة هو:

- **توالديّ:** إنّ الحدث اللّغويّ ليس منبثقاً من عدم، وإنّما هو متولّد من أحداث تاريخيّة ونفسانيّة ولغويّة ... وتتناسل منه أحداث لغويّة أخرى لاحقة له."[6]

ويرى الغذاميّ أنّ: "النّصّ الأدبيّ هو بنية لغويّة مفتوحة البداية ومعلّقة النّهاية، لأنّ حدوثه نفسيّ لا شعوريّ وليس حركة عقلانيّة. ولذلك فإنّ القصيدة لا تبدأ كما تبدأ أي رسالة عادية تصدر بخطاب موجّه إلى المرسل إليه، وتختتم بخاتمة قاطعة التّعبير. إنّ القصيدة تبدأ منبثقة كانبثاق النّور أوكهطول المطر، وتنتهي نهاية شبيهة ببدايتها وكأنّها تتلاشى فقط وليس تنتهي، ودائماً ما تأتي الجملة الأولى من القصيدة، وكأنّها مدّ لقول سابق أو استئناف لحلم قديم، إنّها لكذلك لأنّها نصّ يأتي ليتداخل مع سياق سبقه في الوجود، وكذلك فالنّصّ مفتوح وهو بنية شموليّة لبنى داخليّة: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السّياق إلى النّصّ ثمّ إلى النّصوص الأخرى ليكون بعد ذلك: "الكتاب امتداداً كاملاً للحرف."[7]

ومن خلال ماسبق، نلاحظ أنّ حركيّة النّصّ وتشعّب معانيه بين القديم والحديث؛ تجعلنا نبحث عن سرّ ديناميّة النّصّ، وتأكيداً على إجرائيّته وسعياً به إلى أقصاه، فقد أوضح الغذاميّ أنّ النّصّ " كليّ في حركة مرحليّة لأنّه نصّ بنيويّ، والبنيّة شموليّة / ومتحوّلة / وذات تحكّم ذاتيّ، والنّصّ يتحرّك داخليّاً بحركة مفعمة بالحياة كي يكوّن بنية الوجوديّة، ليكون له هويّة تميّزه، فإذا ما تميّز فإنّه يتحرّك كاسراً لحواجز النّصوص ليدخل مع سواه في سياق؛ يسبح فيه كما تسبح الكواكب في مجرّاتها"[8] في تناغم شامل؛ يجمع بين الصّورة الجميلة والمعنى الواضح، إلاّ أنّ هذا يدفعنا لطرح السّؤال التّالي: كيف نفسّر حقيقة التّداخل بين النّصّ والجملة؟

*- **بين النّصّ والجملة**: استنادا على التّعريفات السّابقة فإنّ النّصّ والجُملة؛ يدخلان في إطار ثنائيّات ضدّيّة: فالجملة وحدة نظريّة نظاميّة،

إطارها اللّغة، وتنطلق من قدرة لغويّة، ويُمكن لنا أن نعرّفها "بأنّها عبارة عن فكرةٍ تامّة، أو تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة."[9] وأمّا النّصّ فهو وحدة إجرائيّة استعماليّة إطارها الكلام، وتنطلق من إنجاز لغويّ أو قدرة تواصليّة، وهو أيضا" الصّيغة المنطوقة أو المكتوبة الّتي صدرت عن المتكلّم أو المؤلّف في موقفٍ ما، قاصداً دلالةً ما، وهذه الصّيغة قد تكون لفظةً، أو إشارةً، أو جملةً، أو متتاليات من الجمل المترابطة."[10]

وعلى هذا فإنّ جلّ الدّراسات اللّسانيّة النّصيّة –في حدود علمي– اعتمدت هذا التّداخل بين النّصّ والجملة حيث: بَنَوا تعريفَهم للنّصّ ولسانيّات النّصّ على الجملة ونحو الجملة، واتّخذوا النّصَّ مطيّةً للانتقالِ إلى الحديثِ عن ظواهر الانسجام، والتّرابط بين الجمل المُنْجَزَةِ في إطارِ مقامٍ مُعيّن. وتحدّثوا عن حدود النّصّ أي بدايته ونهايتِه، عن عنوانه واستهلاله وعلامات نهايته. وعن مكوّناتِه أي عناصره الّتي يتأسّس عليها كالجملة والقول المنجز والقضيّة ... أي من مكوّنات أصغر من الجملة، ومكوّنات جُملية، ومجموعة جملٍ، ومجموعة أقوالٍ استعمَلَها المتكلّم. . . ومن شروط قيام النّصّ: أنّه صياغة لغويّة متكاملةٌ مستقلّة؛ تتحقّق بشروط[11] :

*–**استقلال النّصّ وحدوده الفاصلة:** الصّحّة النّحويّة لكلّ جملة من جمل النّصّ (أو فسادها) لا تقتضي بالضّرورة صلاح النّصّ (أو فساده) من حيثُ هو كلّ.

*– **البنية:** وجوبُ توفُّرِ شروطِ البنية مثل الائتلاف والانسجام والتّرابُط والاتّساق...

*- **المقصديّة** (**Intentionnalité**): يجب أن تخضع المتوالية في النّصّ لقصد المتكلّم ونيّتِه. ويعني بها موقف منتج النّصّ لإنتاج نصّ متماسك ومتناسق باعتبار منتج النّص فاعلا في اللّغة؛ مؤثّرا في تشكيلها وتركيبها. وأنّ مثل هذا النّصّ وسيلة من وسائل متابعة خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها، ويظلّ القصد قائما من النّاحية العمليّة حتّى مع عدم وجود المعايير الكاملة للاِتّساق والانسجام، ومع عدم التّخطيط إلى الغاية المرجوة.

*- **المقبوليّة** (**acceptabilité**) وهي وَقفٌ على تعاوُن المُتقبّل واستعداده، ويقصد بها موقف متلقي النّصّ تجاه كون صورة ما من أشكال اللّغة؛ ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ تتوفّر فيه عناصر الاتّساق والانسجام. وللقبول مدى من التّغاضي في حالات تؤدّي فيها المواقف إلى ارتباك، أوحيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج.

*- **الوظيفة:** أن تكون جُمَل النّصّ ذاتَ وظيفةٍ تواصليّة.

*- **الإفادة**(**informativité**) **أو الإعلاميّة:** ويشار بها إلى ما يحمله النّصّ من المعلومات الّتي تهمّ السّامع أو القارئ، وهو العامل المؤثّر بالنّسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النّصيّة في مقابل البدائل الممكنة، والواقع أنّ كلّ نصّ يحمل مجموعة من المعلومات بأي شكل من الأشكال، فهو يوصل على الأقلّ معلومات محدّدة، غير أنّ مقدار الإعلاميّة هو الّذي يوجّه اهتمام السّامع؛ إذ يمكن أن تقود الإعلاميّة إلى رفض النّصّ، إذا كان هذا الأخير يحمل حدّا منخفضا من المعلومات.

*- **المُناسبةُ المقاميّة**(**Situationalité**): أن يكون النّصّ مفيدا في مقام معيّن.

* -**التّناصّ (intertextualité):** ويعني به العلاقات بين نصّ ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وبصورة أدقّ ارتباط النّصّ بنصوص متقدّمة، يتمّ التّعرّف إليها بخبرة سابقة.

ه- الإعلاميّة: ويشار بها إلى ما يحمله النّصّ من المعلومات الّتي تهمّ السّامع أوالقارئ، وهو العامل المؤثّر بالنّسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النّصّيّة في مقابل البدائل الممكنة، والواقع أنّ كلّ نصّ يحمل مجموعة من المعلومات بأيّ شكل من الأشكال، فهو يوصل على الأقلّ معلومات محدّدة، غير أنّ مقدار الإعلاميّة هو الّذي يوجّه اهتمام السّامع .إذ يمكن أن تقود الإعلاميّة إلى رفض النّصّ، إذا كان هذا الأخير يحمل حدّا منخفضا من المعلومات[12].

_ **إثبات النّصّ:** قصيدة الأمانة لسيدي لخضر بن خلوف[13]:

آه يا سعدي وفرحتي بهذا الملقى فيها شلا نصيب من نعايم الأسرار
كنت على كل يوم تاخذني ضيقة مكاوية منورة بنور الأسرار
حتى جاد الإلاه من له البقا نعم عليا بصورة إمام الجدار
شديت على عمامتي وركبت مهري سريع ساري للفتنة
وطلعت جبال عزالتي سيفي في يدي م شهره عز الشطنة
الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا وانا بين الاجبال سايح طول الليل
عيني على العاشقين سخفت بالدمعة ترى الافضال من الغيوب جيل بجيل
دخلت تلمسان بنهار الجمعة في جبل حنيف بت ساجد طول الليل
غير انايا وسبحتي طلع عليا الصبح واديت السنة
لا حالة كيف حالتي تفكرت اصحاب قانتي في مزغنة
يوم الجمعة طلعت ساري للعباد ثما نادى وهب لي بو مكحلة
نصيب مغارة مجاورة سيدي عباد وكفيت على السجود ما لاح للقبلة

و نظرت خيال جـــــأي يفرفـــــد كالفرفاد يا محسنه بزين مكمــول الطـــولة
و مكنت له بريتي منيـــــــــــن فراها انـــا وإيـــاه تسالمـــــــــــــنا
و عجباته جماعتي قضيـــــــــت منـــه مسايلـــــــــــي وتعاهـــــدنا
بتنا متذاكرين الليل ومـــــــــا طال على دين النبي أحمد طه المبـــــــرور
قال أنا بومدين أصلي من الأفضـــال في الأندلس همتي فيها مذكـــــــــور
قلت أنا بن خلوف مداح المرســـال هاويني بالحديث يا مصباح النـــــور
كي ينظر في صيفتي يوجدهـــــا نحيلة سقـــــيمة من الامحـــــانا
من فراق اولادي وغربتي بعـــــد كمال الحديث هــب لي اليد اليمنـــــى
بعد كمال الحديث قالي يا لكحـــل خوذ الأمانة وســـير بهـــا بإذن الله
مية وعشرين شيخ من والي كامــل طبعو لك بالنصيف ها الكاغط اقـــراه
و تمم الختمة الشفيع المفضل سقاك بالـــــــسر الزمزمي رســـــول الله
اديت منه أمانتي وثنيـــــــــت على الرحول بعدما تعاهـــــــــدنا
وشديت اطـــــــراف ناقتي مــع بومدين بكيت يـــــــوم تفارفـــــنا"

*** – ظاهرة الانسجام في قصيدة الأمانة:**

بداية، يجب أنْ يُعلَم أنّ وجود نصّ لغويّ ما يُعدّ في حدّ ذاته محفّــزاً على الفهم، أو إجراء ولو محاولة ما للفهم؛ إذ إنّ الإنسان بطبعه ميَّــالٌ إلـــى تشغيل آليّات الفهم لديه بصورة غريزيّة؛ لأنّ تتابع الجمل أوالجملة لها تأثيرٌ "علينا ولا تترك أمامنا خياراً آخر غير خيار محاولة فهمها. وهــذا يفتــرض ضمنياً أنّنا نتوفّر بداخلنا على حافز، أي أنّنا نعرب عن استعدادنا لمواجهــة بنيات ذات صورة محدّدة (الجمل) بسلوك يتّخذ صــورة محــدّدة ... وهــذا الاستعداد للفهم يتّخذ لدى **غومبرس** طابعــاً أنتروبولوجيــاً عامــاً ... [ف]لا تستطيع بنية ما الحصول على معنى؛ إلاّ إذا ما جاز اعتبار اســتعداد فهمهــا ظاهرة إنسانيّة عامّة."[14] وإذا كان النّصّ يضع المتلقي وجهــاً لوجــه أمــام

إشكالات محاولات فهمه، فإنّ ذلك الفهم يمرّ بمراحل متعدّدة لعلّ أوّلها: هو إمكان التّعرّف على الرّموز المنطوقة، والقواعد الموجودة في سلسلة الأصوات[15]، سواء أكانت قواعد صوتيّة صرفيّة أو نحويّة أو معجميّة دلاليّة .

إلاّ أنّ تركيزنا في هذه الورقة سينصبّ على ظاهرة الانسجام (Coherence)، الّذي يعني تماسُك النّصّ وانسجامُه من حيث نقلُ المعلومات والمضامين، أو هو مظهر من مظاهر "مقبوليّة النّصّ، "إنّه تعلّق عناصر النّصّ بعضها ببعض، بواسطة "علاقاتٍ دلاليّة، تسهم في الرّبط بين عناصرِ النّصّ الدّاخليّة، والنّصِّ والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، لتكون في النّهاية رسالة يتلقّاها متلقٍّ فيفهمها ويتفاعل معها سلبًا وإيجابًا."[16]

ومن هنا، إذا نظرنا إلى الموضوع الّذي تعالجه القصيدة، نجده يدور حول رحلة صوفيّة للبحث عن مرتبة في مراقي البحث عن الحقيقة، والمتمثّلة أساسا كما أسماه الشّاعر (الأمانة)، ولهذه الكلمة في المفهوم الشّعبيّ دلالات متعدّدة؛ أرقاها ما نجده عند الصّوفيّة، والّتي تعني (الكرامة) أو(نعايم الأسرار)، فالقصيدة من بدايتها إلى نهايتها تسير في حركة مستقيمة نحو الحصول على المبتغى.

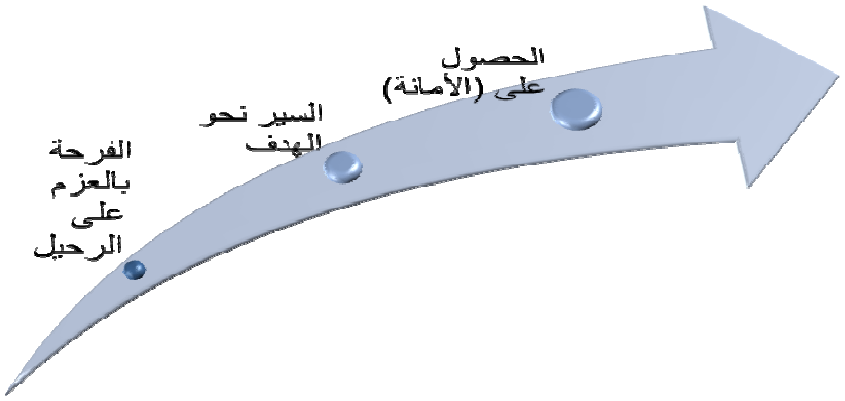

من خلال هذا المخطّط اتّضحت أمامنا حركيّة موضوع القصيدة، فهذه الوحدة الموضوعيّة مظهراً من مظاهر انسجام المدوّنة؛ بل بها ينبني انسجام النّصّ مصداقا لقول **كوهن** (Cohen): «لقد ثبت أنّ الانسجام الفكريّ شيء يتحقّق في الفكر العلميّ، وليس ضروريّا استحضار الأمثلة. كلّ جملة تقود عادّة إلى الجملة الموالية، وإذا انعدمت هذه الرّوابط، فلأنّها تكون من قبيل البديهيّات الّتي يفترض المؤلف عن حقّ، أنّ القرّاء قادرون على استحضارها، والأمر ليس كذلك في الشّعر، وخاصّة الحديث منه، إذ يوجد بين الكلاسيكيّين والمحدثين فارق أساسيّ بصدد هذه النّقطة.»[17]

وإذا نظرنا إلى العنوان لوجدناه يرتبط بموضوع النّصّ ارتباطا كلّيّا؛ بل إنّ الشّاعر ما تحرّك إلاّ من أجل الحصول على الأمانة.

شديت على عمامتي وركبت مهري سريع ساري للفتنة

وطلعت جبال عزالتي سيفي في يدي مشهره عز الشطنة

الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا وانا بين الاجبال سايح طول الليل

عيني على العاشقين سخفت بالدمعة ترى الافضال من الغيوب جيل بجيل

دخلت تلمسان بنهار الجمعة في جبل حنيف بت ساجد طول الليل

نلاحظ بأنّ الشّاعر تحمَّل الأتعاب كلّها، وتحمل مشقّة السّفر ليال طوال، إلاّ من أجل الحصول على الأسرار، وما دلّنا على هذه المعاني وقرّبها إلينا إلاّ العنوان. ولذلك بيّن لنا البحث السّيميولوجيّ بشكل من "الأشكال أهميّة العنوان في دراسة النّصّ الأدبيّ، وذلك نظرا للوظائف الأساسيّة المرجعيّة والإفهاميّة والتّناصيّة الّتي تربطه بالنّصّ وبالقارئ، ولن نبالغ إذا قلنا: إنّ العنوان يعتبر مفتاحا إجرائيّا في التّعامل مع النّصّ في بعديْه: الدّاليّ والرّمزيّ.

وهكذا، فإنّ أوّل عتبة يطؤها الباحث السّيميولوجيّ هو استنطاق العنوان، واستقراؤه بصريّا ولسانيّا، أفقيّا وعموديّا، ولعلّ القارئ يدرك مقدار الأهميّة الّتي يوليها الباحثون المعاصرون لدراسة العناوين، خاصّة وأنّه قد ظهرت بحوث ودراسات لسانيّة وسيميائيّة عديدة في الآونة الأخيرة، وذلك بغية دراسة العنوان، وتحليله من نواحيه التّركيبيّة والدّلاليّة والتّداوليّة."[18] فقيمة العنوان في النّصّ تتجلّى في كونه يرد باعتباره فكرة عامّة أو دلالة

محوريّة أو بمثابة نصّ كلّيّ، وهذا ما لاحظناه في هذه القصيدة من خلال العنوان الّذي لخّص لنا موضوعها، بل إنّ العنوان هو عبارة عن أنظمة دلاليّة سيميولوجيّة، تحمل في طيّاتها قيّما أخلاقيّة واجتماعيّة وإيديولوجيّة[19]، كما يرى **رولان بارت (R.Barthes)**.

ومن خلال القراءة المتأنية للقصيدة تبيّن لنا أنّ العنوان (الأمانة) برز بصفة علامة سيميوطيقيّة تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النّصّ، كما أدّى وظيفة تناصيّة مع النّصّ المقدّس المتمثّل في القرآن الكريم، فقد اقتبس منه المعاني الرّوحيّة والمدلولات الدّينيّة. وهكذا، ولهذا يمكن أن تشتغل العناوين، بصفة عامّة "علامات مزدوجة، حيث إنّها في هذه الحالة تحتوي القصيدة الّتي تتوجّه –وفي الوقت نفسه– تحيل على نصّ آخر، وبما أنّ المؤوّل يمثّل نصّا، فهو يؤكّد واقع كون وحدة الدّلالة في الشّعر نصيّة دائما، وبإحالته على نصّ آخر يوجّه العنوان المزدوج انتباها نحو الموقع الّذي تفسّر فيه دلاليّة النّصّ الّذي يحتويه. إنّ المقارنة بالنّصّ الّذي تمّ استحضاره تنوّر القارئ؛ لأنّه يدرك التّماثل الموجود بين القصيدة ومرجعها النّصّيّ على المستويين: الوصفيّ والسّردي، ويمكن، على سبيل المثال، أن يكون للمرجع النّصيّ نفس المولد الموجود في القصيدة ..."[20]

واستباطا ممّا سبق، فإنّ "العنوان هو الّذي يسمّي النّصوص والخطابات الإبداعيّة، ويعينها، ويخلق أجواءها النّصيّة والتّناصيّة، وذلك عبر سياقها

الدّاخليّ والخارجيّ، علاوة على استيعابه للأسئلة الإشكاليّة الّتي تطرحها هذه النّصوص والخطابات، وذلك عبر عناوينها الوسيطة والبؤريّة."[21]

***- استنتاج وتركيب:**

ولكي لا يطول بنا الحديث ويتشعّب؛ فإنّنا سنبيّن إجمالا أهــمّ مظــاهر انسجام نصّ (الأمانة) للشّاعر بن خلوف؛ انطلاقا من أنّ النّصّ مــا هــو إلاّ "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض."[22] أي اعتبار النّصّ وحدة متكاملة وبنية مركّبة متماسكة وتتجلّى فيه بنية كبرى ذات وحدة كلّيّة شاملة:

أ- المرسل: هو الشّاعر لخضر بن خلوف.

ب- المتلقي: هم المريدون أو.

ج- الحضور: القارئ للنّصّ بصفة عامّة عبر العصور.

د- **الموضوع:** مدار الحدث الكلاميّ في هذا النّصّ هو الحصول على الأمانة.

هــ المقام: الأسبوع هو زمن الــنّصّ الــدّاخليّ والمكــان النّهــائيّ، والمقصود هو تلمسان، وقد ظهرت علامات البشر والفرحة على النّاصّ عند اللّقاء وقبله

اديت منه أمانتي ثنيت على الرحول بعدما تعاهدنا
وشديت اطراف ناقتي مع بومدين بكيت يوم تفارقنا

و- القناة: وقد جاء النّصّ في قالب قصيدة شعريّة باللّهجة الجزائريّة.

ز- النّظام: الأسلوب اللّغويّ المستعمل هو اللّهجة.

ح- شكل الرّسالة: مدوّنة شعريّة...

ط- المفتاح: ومن خلال القراءة المتأنية؛ نلاحظ أنّ النّصّ يرتكز على جانب العظة والكلمات التّالية تدلّ على ذلك (الأمانة، الجمعة، متذاكرين، النبي، السبحة ...)

ك-الغرض: والمقصود من النّصّ بصفّة عامّة، هو زرع حبّ الذّكر في قلوب المريدين بصفّة خاصّة، وقلوب المتلقين بصفة عامّة.

- الإحالات:

1- كتاب الخطاب القرآنيّ، دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّياق، الدّكتورة خلود العموش، الطّبعة الأولى، 2008م، جدار للكتاب العالميّ، عمّان الأردن، ص: 22.

2- الفيروزآباديّ، القاموس المحيط، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، 1997م، ج1، مادّة (نص)، ص: 858.

3- الرّازيّ، مختار الصّحاح، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط1، 1999م، مادّة (نص)، ص: 381-382.

4- ابن منظور، لسان العرب، مكتبة دار المعارف، بالقاهرة، 1979م، ج13، مادّة (نص)، ص: 97-98.

5- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربيّة، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت، ط1، 1995م، ص: 136-137.

6- د. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعريّ – استراتيجيّة التّناصّ –، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، ط2، 1986م، ص: 120.

7- عبد الله الغذاميّ، الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة، النّادي الأدبيّ الثّقافيّ، جدّة، ط1، 1985م، ص:90.

8- عبد الله الغذاميّ، الخطيئة والتّكفير، ص: 90.

9- د. أحمد عفيفيّ، نحو النّصّ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، مكتبة زهراء الشّرق، 2001م، ص:17.

10- د. عبدالعزيز فتح الله عبد الباريّ، التّماسك النّصّيّ في الحديث الشّريف، بحث منشور على الانترنت.

11- روبرت ديبوجراند: النّصّ والخطاب والإجراء، ترجمة تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998 م، ص: 103 .

12- المرجع السّابق، ص: 105، 104.

13- من ديوان الشّاعر.

14- عزّ العرب لحكيم بنانيّ: الظّاهراتيّة وفلسفة اللّغة (تطوّر مباحث الدّلالة في الفلسفة النّمساويّة)، أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، بيروت، 2003 م، ص: 139.

15- ينظر: رويّ. سي. هجمان: اللّغة والحياة والطّبيعة البشريّة، ترجمة د. داود حلميّ السّيد، عالم الكتب، القاهرة، الطّبعة الثّانية، 1420هـ - 2000 م، ص: 168.

16- د. أنس محمود فجّال، الإحالة وأثرها في تماسك النّصّ في القصص القرآنيّ، ص: 54 - 57.

17- د. جميل حمداويّ، السّيميوطيقا والعنونة، مقال على الشّبكة العنكبوتيّة.

18- د. جميل حمداويّ، السّيميوطيقا والعنونة، مقال على الشّبكة العنكبوتيّة.

ينظر كتاب النّقد البنيويّ للحكاية، رولان بارت، تر أنطوان أبوزيد، منشورات عويدات، بيروت، ص: 34.

19- د.جميل حمداويّ، السّيميوطيقا والعنونة، مقال على الشّبكة العنكبوتيّة.

20- المرجع نفسه.

21- الأزهر الزّناد، نسيج النّصّ، ص: 12.